خلافات أهل السنة والشيعة

إذا كان الشيعة يتفقون مع أهل السُنّة فى أصول وأركان الإسلام، فما هى نقاط الخلاف بينهما؟

الاختلافات فى الفروع بين أهل السُـنّة ومذهب الشيعة الجعفرية الإمامية الاثنى عشـرية، ومذهب الشيعة الزيدية وهما أكبروأهم فرق الشيعة، بينما هناك خلافات أساسـية بين أهل السُـنّة وفرق أخرى من فرق الشـيعة، بعضها اندثر ولم يعد له وجـود فى الوقت الحاضر سـوى فى الكتـب القديمة، وبعضها مـا زالت له بقايا محدودة العدد والتأثير.

والشـيعة عموما كانوا أهم انشقاق فى التنظيم السياسى للدولة الإسلامية، حتى إن بعض الباحثين يعتبرونهم أقوى أحزاب المعارضة فى التنظيم السياسـى للدولة الإسـلامية، وقد اقاموا معارضتهم لحكم معاوية على أساس عقائدى، كانت بدايته نظريـة الإمامـة التى وضعها على بـن إسماعيل بن ميثم التمار الـذى ألف كتابى (الإمامة) و(الاستحقاق)، وتبلورت النظرية بعد ذلك حتى أصبحت أصلا من أصول الإسـلام عند الشيعة، فالشيعة لا يستخدمون لفظ الخليفة لأنه - حسب اعتقادهم - يشير إلى الذين اغتصبوا حقوق آل البيت فى ولاية أمر المسلمين.

والشـيعة حين يذكرون لفظ (الإمام) دون تحديد اسمه يقصدون الإمام علىً بن أبى طالب، وفى أدبيات الشـيعة أن الإمامة هى خلافة النبوة فى حراسـة الدين وسياسـة الدنيا، وهى رئاسـة عامة فى أمـر الدين والدنيا خلفا عن النبـى ﷺ فى إقامة الدين وحفظ حوزة الله ولذلك يجب اتباع الإمام، فهو الذى يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيـم حـدود الله، ويدافع عن دين الله، وهو مطَهر من الذنـوب، مبَرأ من العيوب،

واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، وليس له مثيل أونظير اختصه الله الوهاب بالفضل كله من غيرطلب منه أو اكتساب.

والإمام عند الشيعة ليس حاكما سياسيا فقط ولكنه جامع لكل السلطات الدينية والدنيوية، وهو معيّن من الله وليس من البشر، واختيار الإمام باختيار البشر خروج على إرادة الله، وفى ذلك يظهر الخلاف مع أهل السُنّة الذين رأوا أنه ليس هناك شخص بعينه يمكن أن يكون الوارث لرسالة الرسول ﷺ. واختيار الإمام أو الخليفة أو الحاكم يتم عن طريق أهل الحل والعقد، والمجتهدين من الأئمة، أى بالطريق الديمقراطى وليس بالسلطة الإلهية. وعموما فإن أهل السُنّة ليست لهم أبحاث حول الإمامة مثل أبحاث الشيعة، لأن مذهب الشيعة قائم على حق الإمام علىّ ونسله فى الخلافة وعدم أحقية الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم.

فالشيعة - كما يقول الدكتور مصطفى الشكعة - لم يكونوا فى أول الأمر فرقة دينية، بل فكرة سياسية تعبر عن رأى سياسى فى أن عليّا أحق بالخلافة من معاوية.

والدكتور الشكعة يرى أن الفرس اعتنقوا المذهب الشيعى لأسباب سياسية، فهم يعتقدون أنهم أنسباء الحسين لأنه تزوج شهر بانو (سلافة) ابنة يزدجر بعد أن وقعت أسيرة فى يد المسلمين، وابنها من الإمام الحسين هو الإمام علىّ زين العابدين رضي الله عنه، وإذن فإن الفرس يرون أنهم أخوال الإمام على زين العابدين، وجاء تشيعهم أقرب إلى العصبية منه إلى تشيع العقيدة، وتشيع العصبية يساوى تشيع السياسة، أما حب آل البيت فيشترك فيه المسلمون جميعا لا فرق بين أهل سُنّة وشيعة.

أما جمهور الشيعة الإمامية الأقرب إلى أهل السُنّة، فيشملون ثلثى سكان إيران تقريبا، وأكثر من نصف سكان العراق، ومئات الآلاف من أبناء لبنان، وملايين فى الهند والجمهوريات الإسلامية التى كانت ضمن الاتحاد السوفيتى السابق وحصلت على استقلالها. والشيعة الإمامية فيها فرق متعددة ولذلك يجب الحذر عند الرجوع إلى كتب هذه الفرق فلا ننسبها إلى الإمامية جميعا. وأكبر الفرق هى

الإمامية الاثنا عشرية وتسمى أحيانا الجعفرية لأنها تستمد الفقه من الإمام جعفر الصادق، ولم يكن جعفر الصادق إماما للشيعة وحدهم، ولكنه كان إماما لجميع المسلمين، مثل أبى حنيفة والشافعى ومالك وابن حنبل، وكان يجلس فى مسجد الرسول ﷺ وتتلمذ على يديه مئات، وفى نفس الوقت كان إماما عند الشيعة الإمامية ورأوا أن له الولاية والوصاية.

والاثنا عشرية - كما يقول الدكتور الشكعة - بعيدة عما تورطت فيه فرق شيعية كثيرة، فهم يبرءون مما جاء على لسان بعض الفرق ويعتبرونه كفرا وضلالا. وباب الاجتهاد عندهم مفتوح لم يغلق أبدا، وللمجتهد أن يبدى رأيه ويؤخذ به إن كان متفقا مع الكتاب والسُنّة متمشيا مع المعقول، وهم يزيدون على أركان الإسلام الخمسة ركنا آخر هو الاعتقاد بالإمامة، كما سبق القول، ويعتقدون أن الإمامة منصب إلهى كالنبوة، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، فإنه كذلك يختار من يشاء للإمامة، ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصّبه إماما للناس من بعده للقيام بما كان النبى يقوم به. والفارق بين الإمام والنبى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبى، فالنبى مبلغ عن الله، والإمام مبلغ عن النبى.. وكل إمام لابد أن ينص على الإمام اللاحق، والإمام عندهم - كالنبى - معصوم من الخطأ، فهو فى منزلة دون النبى وفوق البشر كما يقول واحد من كبار رجال الشيعة هو الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فى كتابه (الشيعة: أصلها وأصولها).

ويرى الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أن الاعتقاد فى الإمامة ركن جوهرى فى العقيدة، لكنهم يرون أن عدم اعتقاد غيرهم بالإمامة لا يخرجهم من الإسلام، ولكن تتفاوت درجات المسلمين فى الآخرة، لأنهم يعتقدون أن الله يختار الإمام كما يختار النبى، ولا يُخلى الأرض بعد النبى من حجة على العباد، ويروون الأحاديث بأن النبى ﷺ أوصى عليّا، وأن عليّا أوصى ابنه الحسن، وأن الحسن أوصى الحسين، وهكذا حتى الإمام الثانى عشر محمد الحسن العسكرى القائم بالحجة، وهو الإمام الغائب، وهو الإمام المنتظر، والمهدى المنتظر، وحين يظهر يملأ الأرض عدلا.

الإمامية -كما ذكرنا- لا يقبلون الأحاديث بغير طريق أهل البيت عن الإمام علي.

أما الأحاديث التي جاءت عن أبي هريرة مثلا وعن غيره فلا يقبلونها، ولذلك لا يعترفون بكتب الأحاديث التي يعتمد عليها أهل السنة مثل موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، والصحيحين.

وهم لا يأخذون بالقياس الذى سار عليه بعض فقهاء أهل السُنّة.

وفي الصلاة لا خلاف بين أهل السُنّة والإمامية إلا فى صلاة الجمعة والعيدين، فصلاة الجمعة معطلة عند بعضهم (وليس كلهم) لأن هذا الفريق يرى أن صلاة الجمعة لا تجوز ما دام (الإمام) غائبا، أما بقية الإمامية فإنهم يؤدون صلاة الجمعة. وصلاة العيدين عند الإمامية فريضة مثل الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، بينما عند الحنفية صلاة العيدين واجبة وليست فريضة، وعند الشافعية هى سُنّة، كذلك النوافل فى رمضان فهم يزيدون فيها ويصلّونها فرادى فى بيوتهم وليس فى جماعة فى المسجد لأنها سُنّة وليست فرضا. والجماعة لا تكون - عندهم - إلا فى فرض، ويستشهدون فى ذلك بحديث عن الرسول ﷺ - والزكاة عندهم مثل الزكاة عند السُنّة، وكذلك زكاة الفطر، ويضيفون زكاة مقدارها (الخُمس) يعتبرونها فريضة فرضها الله لآل البيت، وتقسم إلى ستة أجزاء، ثلاثة للإمام إن كان ظاهرا، ولنائبه إن كان الإمام مستترا، والأجزاء الثلاثة الأخرى للفقراء وللمحتاجين من نسل النبي ﷺ وغيرهم.

□□□

مسألة أخرى تمثل خلافا بين أهل السُنّة والشيعة، هى مسألة (التقيّة). كأن يتظاهر الشخص باعتناق عقيدة لا يؤمن بها فى داخله، لكى يحافظ على ماله وعرضه ودينه وعقيدته. وبعض فقهاء أهل السُنّة يبيحون ذلك فى حالات الضرورة القصوى كما يقول أحمد أمين فى كتابه الشهير(فجر الإسلام). وبعض الشيعة للحدثين يعلنون عدم اقتناعهم بمبدأ التقية لكن الإمام الخميني يقول: إن التقية جزء من العقيدة غير منفصل عنها، وإن كل من له أقل قدر من التعقل يدرك أن حكم التقية من أحكام

الإلـه المؤكـدة، فقد جاء أن من لا تقيـة له لا دين له، قال الإمـام الخميني ذلك في كتابه (كشف الأسرار) الذى ترجمه الدكتور محمد البندارى ونشر فى عمان. لكن العلامة الشيعى موسى الموسوى ينكر التقية ويقول: إنها لا تليق بالمسلم إلا فى حالة واحدة لخصها الإمام محمد الباقر فى كلمتين حين قال: إنما حُلت التقية ليحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم فليس تقية.

وينقل الدكتور الشكعة عن موسى الموسوى قوله: لقد أراد بعض علمائنا رحمهم الله أن يدافعـوا عن التقية التى يتحدث عنها علماء الشـيعة، وتعنى أن تقول شـيئا وتضمر شـيئا آخر، وتقوم بعمل عبادى أمام سـائر الفرق الإسلامية وأنت لاتعتقد به، ثم تؤديه فى بيتك بالصورة التى تعتقد بها، وقد نفى موسـى الموسوى أن يكون أىّ من الأئمة قد عمل بها، ابتداء من الإمام علىّ وانتهاء بالحسـن العسكرى، ويقف عند الإمام جعفر الصادق لينفى عنه هذه الظاهرة لأن أكثر فتاوى التقية نسبت إليه كما نسب إليه قوله بوجوبها، والإمام جعفر الصادق لم يقل بها، ولم يكن فى حاجة إليها، لأنه كان يدرس فى مسجد الرسولﷺ وحوله آلاف من التلاميذ فكيف يمكن لمدرسـة فقهية أن تبنى على التقية.. ويقول الموسوى: الآن وبعد أن أصبحت الحرية الفكرية حقا مقدسا، فكيف يعيش للجتمع الشيعى بقيادة زعاماته مغلقا على نفسه بالتقية، يظهر شيئا ويبطن شيئا آخر، مثلما يفعلون فى الشهادة الثالثة وهى (أشهد أن عليّا ولى الله) بينما جميع علماء الشـيعة يتفقـون على أنها بدعة لم تكن معروفة فى عهد الرسول ﷺ ولا فىعهد الإمام علىّ، ومع ذلك فلا يجرؤ واحد منهم على أن يعلن أنها بدعة. ويبرر السكوت على أنه التقية!

□□□

خلاف آخر مهم حول اعتقاد الشيعة بأن الأئمة الاثنى عشر سيعودون إلى الدنيا الواحـد بعـد الآخر فى آخر الزمـان، ويحكمون الدنيا، واحدا بعد الآخر حسـب التسلسـل الزمنى لهم، بحيث يحكم الواحد منهـم فترة ثم يموت مرة أخرى ليتولى

الحكـم بعده من يليه، وهكذا حتى يأتى الإمام الغائب الحسـن العسـكرى فيحكم العالم بالعدل والحق وتقوم القيامة بعد ذلك. وقد نسبت فى ذلك روايات كثيرة إلى الإمام محمد الباقر، وابنه الإمام جعفر الصادق، وهما من أئمة بيت النبوة، ويرفض بعض علماء الشيعة الإمامية ما ينسب إليهما فى هذا الشأن. وفى مقدمتهم موسى الموسـوى فى كتابه (الشـيعة والتصحيح) وهذا يعنى أن هناك الكثير من الأقوال فى الكتب القديمة منسـوبة إلى أئمة الشيعة ليس لها أساس من الصحة ولم يعد كثيرون يعتقدون فى صحتها.

يقول العلامة موسـى الموسوى عن فكرة (الرجعة) بأنها بدعة من البدع الأخرى التى أضيفت إلى الأفكار الشـيعية لم يترتب عليها عمل سياسى أو اجتماعى، اللهم إلا شـىء واحد قد يكون هو السـبب فى اختلاق هذه الفكرة، هو اسـتكمال العداء وتمزيق الصف الإسـلامى بمثل هذه الخزعبلات التى دونت وقيلت فى انتقام الأئمة من صحابة رسول الله ﷺ.

ويقول الدكتور مصطفى الشـكعة إن ما يجعل من قضية رجعة الأئمة إلى الحياة تستدعى المراجعة ذلك الكلام الكثير الذى يجرى حول ما إذا كان الإمام الثانى عشر شـخصية حقيقية أو أنه شـخصية وهمية. ذلك أن الإمام الثانى عشر هو أول الأئمة رجوعا إلى الدنيا، يخرج من السـرداب الذى اختفى فيه فى مدينة سـامرا ليحكم المسـلمين وينشـر العدل فى أرجاء الأرض وعهد لآبائه وأجداده الأحد عشـر لكى يرجعوا أو يبعثوا من جديد، يتولى كل واحد بالتسلسل حكم المسلمين، فإذا ما كان هذا الإمام شخصية وهمية انهارت قضية الرجعة من أولها إلى آخرها.

إن الحقيقـة الراجحـة عنـد جمهـرة المؤرخين المسـلمين أن الإمام الحسـن العسكرى- الإمام الحادى عشر - قد مات عن غير ولد، أى إنه لم ينجب، وقام أخوه جعفـر بتصفية تركتـه على أنه لا ولد له، إذ إن للعلويين سـجل مواليد يقوم عليه نقيب بحيث لا يولد لهم مولود إلا سـجل فيه، وهذا السـجل لم يسجل فيه للحسن العسـكرى ولد. ويشـيع بين كثير من العلويين المعاصرين أن الحسـن العسكرى

مات عقيما. فإذا صح ذلك تكون شخصية الإمام الثانى عشر محمد بن الحسن العسكرى شخصية غير حقيقية، وإنما اخترعها من اخترعوا غيرها من العقائد الشيعية التى ينكرها كثير من عقلاء الشيعة أنفسهم، فإذا ما كان الأمر على هذا النحو انهارت عقيدة الرجعة من أولها إلى آخرها.

هذا ما وصل إليه الدكتور مصطفى الشكعة.

□□□

وهناك موضوع آخر للخلاف حول المهدى المنتظر، وفى كتاب بعنوان (سيد البشر يتحدث عن المهدى المنتظر) من تأليف حامد محمود محمد ليمود كتب مقدمته شيخنا الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر، ورئيس جمعية النهوض بالدعوة الإسلامية وقال فيها:كثر الحديث فى موضوع (المهدى المنتظر) قديما وحديثا وألّفت فيه كتب عديدة، والثابت فى الموضوع أن المهدى المنتظر من أمارات الساعة، وأن ظهوره سيكون فى الزمن الذى ينزل فيه عيسى بن مريم عليه السلام آخر الزمان قرب الساعة. وأن خروجه حق تدل عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة التى سردها المؤلف جزاه الله خيرا، كذلك الأحاديث حسنة الرواية وضعيفة الرواية، وكلها مُجمِعَة على ظهوره، وفى نشرها فى هذه الأيام تعريف للمسلمين بأمر دلت عليه الأحاديث النبوية، وإثبات لما سيكون إن شاء الله فى الوقت المحدد.

ويقول الشيخ مخلوف: وننصح المسلمين أن يتقبلوا الأحاديث الصحيحة بقلوب مطمئنة، ويؤمنوا بظهور المهدى فى آخر الزمان إيمانا صحيحا، ويتركوا الأقوال التى تهدم هذه الأحاديث لصدورها ممن لا علم لهم بالأحاديث، بل لا تقدير لهم ولاعقيدة عندهم بوجودها. ويقول: وإنى أستوعبت هذه الرسالة سماعا، وأسدى لمؤلفها الشكر المزيد لاهتمامه بهذا الموضوع وتقديمه للمسلمين كتابا قيما، وبيانا صحيحا، بأسلوب جيد، خدمة للإسلام، وقياما بواجب أكيد على مثله، والله المستعان..

هذا ما كتبه شـيخنا وهو من أئمة أهل السُـنّة، وصدر الكتاب فى أول يناير سنة ١٩٨٠ فى حياة شيخنا الجليل.

أمـا المؤلف - فيقول فى مقدمته إنه بعد حادث الاعتداء على بيت الله الحرام على أيدى أناس تعدوا حدود الله، وسعوا فى أشرف بقعة فسادا يتزعمهم مدّعى المهدية، والذى أغضب المسلمين فى جميع أنحاء العالم غَيْرَةً على حرم الله وحرماته، حدثت خلافـات بين الناس حول ظهور المهـدى المنتظر، فهم بين مُقِرٍّ ومُنكِرٍ، وبين ملّبت لرواياته وطاعن فيها. ونتيجة لهذا الخلاف وقعت حيرة عند أكثر المسـلمين، إلى أى قـول يجنحـون، وإلى أى رأى يميلون، ورأيت أنه لا سبيل للخلاص من هذا إلا بوضع رسـالة خاصة فى هذا الشـأن تحوى ما يحسم هذا الخلاف.. فاستخرت الله تعالى على أن أقوم بوضع هذه الرسـالة، وإن كنت لسـت أهلا لها، فشـرح الله صدرى، فقمت بجمع ما تيسـر لى من أحاديث الرسول ﷺ فى هذا الموضوع، مع بيان حال أسـانيدها، فوقفت على أكثر من ثمانين رواية، منها الصحيح ومنها الحسـن ومنها الضعيف، ومنها الصريح ومنها المشـير، ومنهـا الموجز ومنها المطوّل، ومنها المجمل ومنها المفصل، تكمل بعضها بعضا وتفسـر بعضها بعضا، وتلتقى كلها على هدف واحد وهو إثبات ظهور المهدى المنتظر، مع ذكر بعض أوصافه وأماراته إثباتا لا يدع مجالا للشك بعد ذلك فى هذا الأمر ولا مجال للطعن فيه.

وينقل مؤلف الكتاب - حامد محمود ليمود - عن السفارينى من كتابه لوامع الأنوار البهيـة: (وقد روى عن الصحابة والتابعين ما يفيـد العلم القطعى، فالإيمان بخروج المهدى واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون فى عقائد أهل السُنّة والجماعة). ويقول بعد ذلك: فلو ورد ما ورد فى شأن المهدى من الأحاديث الصحيحة بأى لون مـن ألوان الطعن، ورُدَّ ما أقره هؤلاء الأعلام لفُتح للجال لرد سـائر الأمور الدينية والأحكام الشـرعية لأن الجميع قد غرف من بحـر واحد.. ويضيف إلى ذلك قوله: والجرأة على مثل هذا محاربة للدين لا دفاع عنه والعياذ بالله.

يورد حامد ليمود تحت عنوان: الأحاديث الصحيحة الصريحة والمشيرة إليه- نسب المهدى ومدة خلافته وعدله ورخاء عهده: عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: "أبشركم بالمهدى يبعث على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورا وظلما، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحا.. قال له رجل: ما صحاحا؟ قال ﷺ: بالسوية بين الناس، ويملأ الله قلوب أمة محمد غنى، ويسعهم عدله حتى يأمر مناديا فينادى فيقول: من له من مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول: ائت السدان- يعنى الخازن- فقل له: إن المهدى يأمرك أن تعطينى مالا، فيقول له: أحث حتى إذا جعله فى حجرة وائتزره ندم، فيقول كنت أشجع أمة أو عجز عنى ما وسعهم؟ قال: فيرده، فلا يقبل منه، فيقال له: إنّا لا نأخذ شيئا أعطيناه، فيكون كذلك سبع سنين، أو ثمانى سنين، أو تسع سنين، ثم لا خير فى العيش بعده -أو قال- ثم لا خير فى الحياة بعده" رواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار كثير. قال الهيثمى ورجالهما ثقات، وقال السيوطى فى الحاوى: وإسنادهما جيد.

ثم ينقل المؤلف عشرات الأحاديث تكرر هذا المعنى تقريبا ومنها عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلما وجورا وعدوانا، ثم يخرج من أهل بيتى من يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا" رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأقره الذهبى.

ويذكر بعد ذلك تحت عنوان (خسوف الجيش الذى يخرج لقتال المهدى): عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم. قلت يا رسول الله فكيف بمن كان كارها؟ قال ﷺ: يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته" رواه البخارى ومسلم وأبو داود والحاكم وقال: على شرط الشيخين، وأقره الذهبى والترمذى.. وهكذا يورد أحاديث كثيرة بذات المعنى.

لكن ابن خلدون قال بأن كل الأحاديث عن المهدى ضعيفة، أما الشيخ أحمد شاكر - وهو من كبار المحققين للتراث- فقد ذكر فى مقدمته لكتاب مسند الإمام أحمد ما قاله

ابن خلدون فى مقدمته وقال: إن ابن خلدون أراد تضعيف أحاديث المهدى بما غلب عليه من الرأى السياسى فى عصره. فابن خلدون حكم على جميع الأحاديث الواردة فى خروج المهدى بأنها من خرافات الرافضة ودسائسهم، ورأى الشيخ شاكر أن ما قاله ابن خلدون طعن بمجرد الرأى وليس بمنهج تحقيق علم الرواية.

وهناك خلاف حول شخصية المهدى المنتظر فقد قال الشيعة الإمامية: إنه هو محمد بن الحسن العسكرى، من ولد الحسن، وزعموا أنه اختفى يوما من أعدائه، وقال ابن القيم -وهو يتحدث عن الذين ادعو أنهم هم المهدى المنتظر-: أما المهدى عند المغاربة فهو محمد بن تومرت، فإنه رجل كذاب ملك بالظلم فقتل النفوس وأخذ أموال المسلمين وكان شرا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير، وكان يودع بطن الأرض جماعة من أصحابه أحياء يأمرهم أن يقولوا للناس إنه المهدى الذى بشّر به النبى ، ثم يردم عليهم ليلا لئلا يكذّبوه بعد ذلك، وسمى أصحابه الجهمية: الموحدين واستباح قتل من خالفهم من أهل العلم. وقال ابن القيم: ثم خرج المهدى الملحد عبيد الله بن ميمون القداح، وكان جده يهوديا من بيت مجوسى، فانتسب بالكذب والزور على أهل البيت وادعى أنه المهدى الذى بشّر به النبى، وملك، واستفحل أمره إلى أن استولت ذريته الملاحدة المنافقون —الذين كانوا أعظم الناس عداوة لله ولرسوله- على بلاد المغرب ومصر والحجاز والشام، واشتدت غربة الإسلام ومحنته ومصيبته بهم. وكانوا يدّعون الألوهية، ويدّعون أن للشريعة باطنا يخالف ظاهرها. وهم ملوك القرامطة الباطنية، فتسترّوا بالانتساب كذبا إلى أهل البيت ودانوا بالإلحاد وروجوه إلى أن أنقذ الله الإسلام منهم ونصر الإسلام بصلاح الدين الأيوبى فأبادهم، وعادت مصر دار إسلام بعد أن كانت دار نفاق وإلحاد فى زمنهم- هذا ما جاء فى كتاب نقد المنقول -أو المنار فى الصحيح والضعيف- لابن القيم.

هكذا نجد أن موضوع المهدى المنتظر شـغل أهل السُـنّة والشيعة معا، وذكرت فيه أحاديث كثيرة، متعارضة ومتناقضة تجعله أقرب إلى أسطورة من الأساطير التى نجدها فى كل الأديان.

□□□

ويقول الدكتور الشـكعة:إن الشـيعة يعتقدون أن من يزور قبور أئمتهم أويسهم فى بنائها ينال ألوانا من الثواب لا نهاية لها، وينالون شفاعة الرسول ﷺ، ويصيبهم ثواب سبعين حجة غير حجة الإسلام، وتمحى خطاياه. ويورد عن الإمام الخمينى فى كتابه (كشف الأسرار) رواية منسوبة عن الإمام جعفر الصادق تقول: (ينقل الشيخ الطوسـى عن أبى عامر عن الحسين بن على بأن الرسول ﷺ قال للإمام على: إنك ستنقل إلى العراق وتدفن فى أرضه، فقال: يا رسول الله وما هو أجر من يزور قبورنا ويقيمهـا ويجدد العهد معها؟ فقال: يا أبا الحسـن، إن الله جعل قبرك وقبور أولادك بقعـة من بقاع الجنة، وإن الله أدخـل فى قلوب المختارين من خلقه حبكم، وجعلهم يتحملون الأذى والذُل من أجلكـم، ويقومون بإعادة بناء قبوركم، ويأتون لزيارتكم تقربا إلى الله وزلفى إلى رسـوله، وهؤلاء مشمولون بشـفاعتى. ياعلى، إن من يبنى قبوركم ويأتى إلى زيارتها يكون كمن شارك سليمان بن داود فى بناء القدس، ومن يزور قبوركم يصيبه ثواب سـبعين حجة غير حجة الإسلام، وتمحى خطاياه، ويصبح كمـن ولدته أمه. إنى أبشـرك، وبشـر محبيك بهذه النعمة التـى لم ترها عين، ولم تسمع بها أذن، ولم تخطر على بال أحد، إلا أن هناك توافه من الناس يلومون زائرى قبوركم كما يلومون المرأة الزانية، إن هؤلاء هم أشـرار أمتى، ولايشملهم شفاعتى). هذا ما قاله الإمام الخمينى.

وعن تربة كربلاء حيث قبر الإمام الحسـين رضى الله عنه يقول الإمام الخمينى: إن طلب الشفاء منها أمر لا حرمة فيه ولا حرج. ويقول إن لها خاصية ليست لغيرها حتى قبر النبى ﷺ نفسـه(!) ويقول آية الله الخمينى فى كتابه (تحرير الوسـيلة) إن

تربة كربلاء تخرق الحجب السبع، وترتفع على الأرضين السبع، وهذه الخاصية ليست لأحد حتى قبر النبيﷺ، ويذكر الخميني ذلك عن تربة النجف أيضا حيث مرقد الإمام عليّ. ويقول الدكتور الشكعة: إن من العادات المعروفة أن الشيعة يقيمون مجالس للعزاء في شهر للحرم من كل عام. وكان آية الله الخميني لا يحب أن يترك هذه العادة حتى يجعل لها أصولا دينية ومذهبية، فيقول في كتابه (تحرير الوسيلة): (إن مجالس العزاء تقام لدى الشيعة في كل مكان، ومع ما في هذه المجالس من نقص إلا أنها تروج تعاليم الدين وأخلاقياته، وتشيع الفضيلة ومكارم الأخلاق والدين الإلهي، والقانون السماوي المتمثل في المذهب الشيعي المقدس الذي يدين به اتباع عليّ عليه السلام).

□□□

وبعض علماء الشيعة - وليس كلهم - اعتادوا شتم الصحابة وفي مقدمتهم أبوبكر وعمر وعثمان، وأمهات المؤمنين عائشة وحفصة. والبعض منهم يردد دعاء يسمى (دعاء صنمي قريش) ويقصدون بهما أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

ومن الضروري أن يكون واضحا أن هذا التجاوز في سب الصحابة لا يصدر عن جميع الشيعة وإنما عن قلة منهم، ولكن خصوم الشيعة يرددون ذلك على أنه عند جميع الشيعة بطوائفهم المختلفة، بينما نجد من كبار علمائهم من نَزَّهوا فكرهم وأقلامهم عن سب الصحابة، ومن هؤلاء الشيخ حسين كاشف الغطاء، والشيخ محمد جواد مغنية، والسيد موسى الصدر، والإمام محمد تقي القمي وغيرهم وغيرهم من علماء الشيعة الكبار، وفي ذلك يقول الدكتور موسى الموسوي في كتابه (الشيعة والتصحيح): إن الاختلاف في الرأي بين الشيعة وأهل السُنّة اتخذ طابعا حادا وعنيفا عندما بدأت الشيعة تجرّح الخلفاء الراشدين وبعض أمهات المؤمنين بعبارات قاسية وعنيفة لايليق بأن تصدر من مسلم في حق مسلم، ناهيك أن تصدر من فرقة إسلامية نحو صحابة الرسول وأزواجه اللاتي لقبهن أمهات المؤمنين.

والمؤكد أن الإمام عليًا كرم الله وجهه كان شديد الحب للخلفاء الراشدين، وتعاون معهم، وتحمل مسئولية الحكم بالنيابة عنهم أثناء سفرهم، وكانوا يندبونه لذلك، وعندما توفى أبو بكر وقف الإمام علىّ قائلا: (رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلاما، وأخلصهم إيمانا، وأشدهم يقينا، وأعظمهم غناء، وأحفظهم على رسول الله ﷺ، وأنسبهم برسول الله خلقا وفضلا وهديا، فجزاك الله عن الإسلام، وعن رسول الله، وعن المسلمين خيرا. صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وأسماك الله فى كتابه صدّيقا، والذى جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون، يريد محمدا ويريدك، وكنت والله للإسلام حصنا وعلى الكافرين عذابا، لم تقلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك. وكنت كالجبل الذى لا تحركه العواصف كنت كما قال رسول الله ضعيفا فى بدنك قويا فى أمر الله، متواضعا فى نفسك، عظيما عند الله، جليلا فى الأرض كبيرا عند المؤمنين. ولم يكن لأحد عندك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك).

فإذا كان هذا هو رأى الإمام علىّ فى أبى بكر فكيف بعد ذلك لفئة من اتباعه أن يرموه بأبشع النعوت. يقول العلامة الشيعي موسى الموسوى: لا يجوز تجريح الخلفاء وذمهم بالكلام البذىء الذى نجده فى بعض كتب الشيعة، فهو كلام يغاير الموازين الإسلامية والأخلاقية، ويناقض كلام الإمام علىّ ومدحه وتمجيده فى حقهم، ويجب على الشيعة أن تحترم الخلفاء الراشدين وتقدر منزلتهم من الرسول- فالنبى ﷺ صاهر أبابكر وعمر. وعثمان صاهر النبى مرتين. وعمر بن الخطاب صاهر الإمام عليًا وتزوج من ابنته أم كلثوم. ولو التزمت الشيعة بما قاله الإمام علىّ فى حق الخلفاء لانتهى الخلاف وساد الأمة الإسلامية سلام فكرى فيه ضمان الوحدة الإسلامية.

هذا ما قاله العلامة الشـيعى موسى الموسـوى فى كتابه (الشيعة والتصحيح) وقاله أيضا كثير من علماء الشيعة المعاصرين.

ويضيف الدكتور الشـكعة أن الإمام عليًّا لشدة تعلقه بالخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سـبقوه سمى ثلاثة من أبنائه بأسمائهم. فقد سمى أحد أولاده أبا بكر، وسمى ولـدا ثانيـا عمر، وسمى ولدا ثالثا عثمان، وهذه قرينة كبرى على حب سـيدنا علىّ لإخوانه الراشدين صحابة رسول الله ﷺ.

□□□

كذلـك فإن فى الشـيعة من ينفـى أن الإمامة منصب إلهى وأنهـا إحدى دعائم الإسـلام، هذه القضية التى فرقت المسلمين، وجعلتهم فرقا متناحرة بعد أن كانوا إخوة متحابين، أشداء على الكفار رحماء بينهم.

والحقيقة أن الشـيعة الآن ليسـوا هم الشـيعة فى عصور الفتنة التى اجتاحت المسلمين بسبب الاختلاف على الحكم.

لكن الذين يريدون إشـعال الفتنة بين أهل السُـنّة والشيعة يختارون من الكتب ومن أقوال هذه الفرق المتطرفة ما يثير حفيظة أهل السُـنّة. ومعروف أن الغلو عند بعض فرق الشـيعة بدأ بإسباغ القداسـة على الإمام على بن أبى طالب، ونسجت أسـاطير لتبرير هذا الغلو، ونسـبت هذه النزعة إلى شـخصية يهودية هى شخصية عبدالله بن سبأ، فظهرت طائفة السبئية يهتفون: (أنت أنت. أنت الخالق البارى) وإن كان هناك من يشـكك فى وجود عبدالله بن سـبأ -كما سبق الإشارة إلى ذلك- لكن هذا الفكر وجد فى مرحلة من المراحل ونسب إليه، وتسبب هذا الفكر وأمثاله من مذاهب الغلو والتطرف فى الإضرار بالمسـلمين وبالإسـلام ذاته، ولاشـك أن هذا الفكر غريب على الإسـلام، ولايمكن أن يحسـب عليه؛ مثل القول بإسباغ الألوهية على النبىﷺ والقول بأن روح القدس كانت فى النبىﷺ، ثم فى علىّ وأولاده حتى الإمام الثانى عشـر. وفكرة حلول روح القدس فى إنسان ليست فكرة إسلامية فى

أصلها. ومنهم من قال: إن الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص، وذلك النور فى شخص يكون نبوة وفى شخص يكون إمامه وربما تتناسخ الإمامة فتكون نبوة.. وكان بشار بن برد الشاعر المعروف من أنصار هذه الفرقة.. وهناك من قال بأن الله خلق محمدا ﷺ، ووكل الأمور إليه، فخلق محمد ﷺ الدنيا، ثم فوض الإمام عليًّا بعد ذلك فى تدبير العالم، فهو المدبر الثانى بعد الرسول. ويشرح فخر الرازى فى كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) أفكار هؤلاء الغلاة فيقول: إن الذين يقولون إن الله خلق روح علىّ وأرواح أولاده وفوض العالم إليهم، فخلقوا هم الأرضين والسموات، يدّعون أننا حين نقول فى الركوع سبحان ربى العظيم وفى السجود سبحان ربى الأعلى، فإن المقصود أن الإله الأعلى هو علىّ وأولاده، والإله الأعظم هو الذى فوض عليهم العالم.

ولست أريد أن استطرد فى ذكر أمثال هذه الأفكار المخالفة للعقيدة الإسلامية التى تسربت من عقائد أخرى تخالف الإسلام، ونحن نعرف أن فئة من المنافقين كانوا من أعداء الإسلام، أعلنوا إسلامهم فى الظاهر وأبطنوا العداء ، وتسللوا حتى أصبحوا فى المقدمة فدسّوا فى عقائد المسلمين ما ليس منها بادعاء أن ذلك هو التعبير عن شدة الإيمان وشدة الحب لآل البيت.

صحيح أن هناك أقوالاً شاذة، وفرقًا شاذة، ذكرتها الكتب القديمة وركزت عليها، وكأنها هى عقائد جميع الشيعة، وهذا خلط يجب التنبه إليه.

مرة أخرى نقول إن هناك خلافا بين أهل السُنّة مع الشيعة، لكن هذا الخلاف ليس على القرآن، أو التوحيد، أو الإيمان بنبوة محمد ﷺ، أو على أركان الإسلام الخمسة، ولكنه على أفكار ونظريات ذكرنا أمثلة منها.. أما الغلو والتطرف فقد انتهى تقريبا، ولم يعد سوى صفحات فى الكتب القديمة، يحلو للبعض أن يقلب فيها ويستخرج منها الأقوال الغريبة الشاذة التى ذكرت بعضها.

والخلاصة : نحن مع الغالبية العظمى من الشـيعة. ونحن مع التجديد والمراجعة فى المذهب الشـيعى والمذاهب السُـنّية بحثا عن تنقية الكتـب مما فيها من أكاذيب ومادسّـه فيها أعداء أهل السُنّة والشيعة معا وأرادوا أن يظل المسلمون فى خلاف إلى يوم الدين.

ونحـن مع الدعوة إلى التقريب بين المذاهـب. حتى نصل إلى نقطة يصبح عندها المسـلمون جميعا مسـلمين.. بلا تعصـب.. وبلا إصرار علـى العيش فى الماضى والتمسك به إلى حد التقديس.. فالماضى مضى وانتهى.. ونحن نعيش عصرا مختلفا ليس فيه الصحابة ولا معارك فيه حول الخلافة.. نحن فى عصر يواجه فيه المسلمون حروب إبادة.. ومن يشـعل الفتنة والخلافات بينهم هو عون لأعدائهم وسلاح ضد المسلمين فى هذه الحروب.

ومن يتبع دعوة الله فهو المسـلم حقا.. فقد دعانا ربنا الواحد الأحد إلى أن نكون إخوة، وأن نعتصم بحبل الله جميعا، ولا نتفرق فتذهب ريحنا، بعد أن أصبحنا بفضل الله إخوانا. ومن يستجيب لدعوة الله غير المؤمنين الصادقين؟..